منهج الشيخ ابن عثيمين
في
بيان مشكل القرآن الكريم

إعداد
د. رجب عبدالمنصف عبدالفتاح
وكيل أول وزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية
مصر

ورقة عمل مقدمة لـ :
ندوة جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية

406 Blank

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (النمل: ٢٧).. **وبعد**، فالقرآن الكريم كتاب الله الخالد ومعجزة نبيه الخاتم (لا تفنى عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد)(١)، وهو ما أخبر به النبي ﷺ. تضمن من وجوه الإعجاز ما يجعله حجة قاطعة على رسالة الإسلام ودليلاً ساطعًا على صدق النبي ﷺ ومن هذه الوجوه سلامته من التناقض وخلوه من المعارضة، وإلى ذلك أشار الحق سبحانه و تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، وقد حاول الملحدون قديماً وحديثًا الادعاء بأن القرآن الكريم يناقض بعضه بعضاً، أو أن آياته تتعارض فيما بينها أو أنه يخالف العقل أو الحس ليثبتوا هذا الاختلاف المنفي عنه من خلال ذكر بعض النصوص التي قد يشكل ظاهرها عند أول وهلة: فكانوا كناطح صخرة يوماً ليوهنها.. وهو ما دعا العلماء وأصحاب التفسير إلى بيان المعنى الحقيقي لما أشكل على البعض بما يزيل عنه وهم التعارض والاختلاف. على أن الوقوف أمام الآيات الموهمة للتعارض لم يكن وقفًا على الملحدين والزنادقة، إذ إن من الإنصاف أن نذكر أنه كان هناك بعض التساؤلات من الصحابة والتابعين حول ظواهر بعض الآيات الموهمة للتعارض بغية فهم المراد منها مع التسليم والتفويض قائلين: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧)، فكان النبي ﷺ يجيب عن المراد بها على نحو ما حدث لأم المؤمنين عائشة < عندما اعتاص عليها الجمع بين قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ

---

(١) جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن.

يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ (الانشقاق٧ ـ ٨)، وبين قوله ﷺ: «من حوسب يوم القيامة عذب» قالت: «فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فقال ﷺ: **«ليس ذاك الحساب إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب»**[1].

ثم قام الصحابة من بعده ببيان ذلك. فكان الفرق بين المسلمين والزنادقة أن الأولين يسألون عن المعنى مع التسليم بما جاء، وأنه من عند الله، ويتهمون أنفسهم بالعجز، أما الملاحدة والزنادقة فإنهم يفرحون بما يجدونه من خروج عن الظاهر ويحسبونه تناقضًا يرفع الثقة بسلامة القرآن، فيطيرون به كل مطار، وهو الأمر الذي جعل العلماء جيلاً بعد جيل يدافعون عن كتاب الله وينافحون عنه قيامًا بواجب النصيحة الواردة في قوله ﷺ: **«الدين النصيحة»**... واستمر هذا الركب المبارك في انتصاره للقرآن وفي دفع ما يوهم التعارض أو التناقض حتى يومنا هذا. ومن أشهر علمائنا المعاصرين الذين تولوا الدفاع عن القرآن الكريم: الشيخ الشنقيطي في كتابه (دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب)، والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، الذي اهتم بهذا الأمر اهتمامًا كبيرًا في العديد من كتبه ورسائله و فتاويه، بيانًا للمعنى، وإزالة للإشكال، وانتصارًا للقرآن الكريم ودفعًا لأعدائه. ولعل في هذه الدراسة ما يبين جهود الشيخ ابن عثيمين في دفع ما يوهم التعارض ويرفع الإشكال، ومن هنا فقد تكونت هذه الدراسة من مقدمة، **ومبحثين:**

* **الأول: المشكل وعناية العلماء به.** ويتكون من ثلاثة مطالب:

١ ـ المشكل فى دائرة المصطلح.

٢ ـ عناية العلماء بنفى المشكل عن القرآن الكريم.

---

[1] أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب، ومسلم فى صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إثبات الحساب.

٣ ـ أشهر المصنفات التى عالجت المشكل.

* **المبحث الثانى**: **موقف العلامة العثيمين من المشكل**. ويتكون من ثلاثة مطالب:

١ـ التعريف بالشيخ العثيمين.

٢ـ اهتمام الشيخ ابن العثيمين بالمشكل.

٣ـ منهج ابن العثيمين في دفع الإشكال والتعارض في النصوص.

* **الخاتمة**: ونعرض فيها لما انتهت إليه هذه الدراسة من نتائج وتوصيات.

والله ولى التوفيق

المبحث الأول

تعريف المشكل وعناية العلماء به

المطلب الأول

المشكل فى دائرة المصطلح

المشكل لغة: اسم فاعل من الإشكال أى الملتبس. يقال أشكل الأمر أى التبس واختلط ومنه قيل للأمر المشبه مشكل مختلط وأمور أشكال أى ملتبسة، والأشكل من سائر الأشياء قاطبة ما فيه حمرة وبياض(١) ومن صفته ﷺ أنه كان أشكل العينين أى في بياضهما شيء من الحمرة وهو محمود ومحبوب على نحو ما بينته كتب الشمائل.

وأشكل أى دخل في أشكاله وأمثاله، كما يقال أحرم أى دخل في الحرم، وأشتى أى دخل في الشتاء(٢).

وقد يطلق عليه المتشابه وذلك في مثل قول الباجي: (المتشابه هو المشكل الذي يحتاج في فهم المراد منه إلى تفكر وتأمل(٣). وقد فرق الإمام السيوطى بينهما فذكر أن (المتشابه لا يفهم معناه المراد منه، فى حين أن المشكل يفهم من الجمع)(٤).

الألفاظ القريبة من المشكل: للعلماء عدة مصطلحات تقترب من المشكل مثل المختلف، والمتعارض، وسواء قلنا إنه من قبيل المترادف.

على ما يظهر في قول صاحب الرسالة المستطرفة محمد بن جعفر الكتاني (ومنها

---

(١) انظر لسان العرب، وتاج العروس، وأساس البلاغة مادة (شكل).

(٢) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (دستور العلماء) الجزء الثالث، ص (٢٦٦)، طبعة مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت، للقاضى الأحمد فكرى.

(٣) الحدود في الأصول: طبعة دار الافاق العربية لأبى الوليد سليمان بن خلف الباجى، ص (٤٧).

(٤) التحبير فى علم التفسير للسيوطى، ص٣٩٥ بتصرف، ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر.

كتب في اختلاف الحديث أو نقول في تأويل مختلف الحديث، أو نقول في مشكل الحديث، أو نقول في مناقضة الحديث(١)، وهو ما اتجه إليه بعض المعاصرين مثل الشيخ محمد أبو زهرة، ود. صبحي الصالح، ود. نور الدين عتر(٢) في مقابل من يفرق بين المشكل والمختلف فيجعل المشكل أعم من المختلف، فكل مختلف فيه اختلاف وتداخل والتباس نتيجة للتعارض بين الشيئين وليس كل مشكل مختلفاً.

وقد سمى الزركشي هذا النوع من المشكل موهم الاختلاف وهو النوع الخامس والثلاثين من كتابه (البرهان في علوم القرآن)(٣).

و يعد التعارض من أهم أنواع المشكل. أي: تشارك الدليلين في التعارض الذي وقع بينهما.

ويأتي التعارض في اللغة بعدة معان، أهمها:

١ ـ **المنع**: نقول عرض الشيء يعرض واعترض: انتصب ومنع، وصار عارضاً.

٢ ـ **الظهور والإظهار**: يقال: عرض له أمر كذا أي ظهر، وعرضت له الشيء أي أظهرته له وأبرزته إليه.

٣ ـ **حدوث الشيء بعد العدم**: نقل ابن منظور عن اللحياني: والعرض: ما عرض للإنسان، أي يحدث له من أمر يحبسه من مرض، أو لصوص، أو هموم، أو أشغال.

٤ ـ **المحاذاة والمجانبة**: يقال: «عارض فلان فلاناً» أى «جانبه، وعدل عنه، وسار حياله» أو «محاذاه»(٤).

---

(١) الرسالة المستطرفة: طبعة دار البشائر، بيروت، ص(١٥٨).

(٢) انظر: آراء هؤلاء العلماء في مختلف الحديث ـ د/ نافذ حسين حماد ـ ص١٦ ـ ط دار الوفاء.

(٣) انظر: الجزء الأول ص٥١ وما بعدها ـ ط دار التراث ـ القاهرة.

(٤) انظر لسان العرب (٤/ ٢٨٨٥). القاموس المحيط (٣/ ١٩٣). تاج العروس (١٨/ ٣٨٨). المصباح المنير (٢/ ٤٠٢)، الصحاح ـ للجوهري (٣/ ١٠٨٢) تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ـ ط ١٤٠٢هـ.

أما التعارض في الاصطلاح فقد تعددت فيه أراء العلماء.

فذكر ابن السبكي أن: «التعارض بين الشيئين: هو تقابلهما على وجه يمنع كل منهما مقتضى صاحبه»⁽¹⁾.

وهو ما أكده الإسنوي في قوله: «التعارض بين الأمرين: وهو تقابلهما على وجه يمنع كل واحد منهما مقتضى الآخر»⁽²⁾.

أسباب الإشكال:

ينشأ الإشكال نتيجة من ورود نص يناقض في الظاهر نصًا آخر، أو يخالف العقل أو الحس أو التاريخ، ويرفع الإشكال بالتوفيق بين النصوص المتعارضة لأول وهلة أو بشرح المعنى بما لا يخالف العقل أو الحس.

ونمثل له هنا بالموقف الذي رواه الحاكم وعلقه البخاري: «أن رجلاً سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام: ٢٣)، وقوله في آية أخرى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ (النساء: ٤٢)، فقال ابن عباس: «أما ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ فإنهم لما رأوا يوم القيامة أنه لا يدخل الجنة إلا أهل الإسلام قالوا تعالوا فلنجحد، فختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم، فلا يكتمون الله حديثا»⁽³⁾ ـ وكذا روي عنه في آيات نحو ذلك⁽⁴⁾ـ، فقال: إن في

---

(١) الإبهاج في شرح المنهاج (٢/ ٢٧٣) دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ط ١ سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) ورقات الأصول بشرح غاية المأمول، ص (٢٢٩).

(٣) صحيح البخاري مع شرح فتح الباري ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة فصلت ـ ٨/ ٥٥٥ والمستدرك ـ كتاب التفسير ـ تفسير سورة النساء ٢/ ٣٠٦ ـ بلفظه قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ ووافقه الذهبي.

(٤) مثال ذلك ما رواه الحاكم في المستدرك ـ كتاب الأهوال ـ ٤/ ٥٧٣ ونصه عن ابن عباس { قال: سأله نافع ابن الأزرق عن قوله ـ عز وجل (هذا يوم لا ينطقون ـ ولا تسمع إلا همسا ـ وأقبل بعضهم على =

القيامة مواقف ففي بعضها ينكرون وفي بعضها يقرون، وفي بعضها يسألون، وفي بعضها لا يسألون كما قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (الصافات: ٢٧)، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾ (المؤمنون: ١٠١)، على أنه قد يدعي قوم التعارض لمرض في نفوسهم بغرض التلبيس على المسلمين وهو ما دعا العلماء يردون عليهم كيدهم ويلقمونهم الحجر.

= بعض يتساءلون ـ وهاؤم اقرؤوا كتابيه) فما هذا ؟ قال: ويحك هل سألت عن هذا أحداً قبلي؛ قال: لا قال: أما إنك لو كنت سألت هلكت، أليس قال الله تبارك وتعالى (وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال: بلى، وأن لكل مقدار يوم من هذه الأيام لون من هذه الألوان.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ـ وقال الذهبي إن في الحديث ـ يحي ابن راشد المازني وقد ضعفه النسائي.

المطلب الثاني

عناية العلماء بنفي المشكل عن القرآن الكريم

أنزل الله تعالى القرآن الكريم كتابًا محكمًا لا اختلاف فيه ولا تعارض: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: ١)، وقال جل شأنه: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

من هنا كان رفع الالتباس عن آيات الكتاب الكريم من أهم الواجبات على المفسر إذ هي جزء من تفسير القرآن الكريم، فينبغي العناية به وإزالة مشكله ودفع توهم ما ظاهره التعارض بين نصوصه.

والقرآن منزه عن هذا وذاك لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢)، فالإشكال والاختلاف إنما هو في نظر المجتهد وليس في الواقع، ومن هنا وجب على المفسر أن يطيل النظر في الآيات، ويتعرف على المواضع التي أشكل فهمها على الناس، وعلى ما قد يظن أن فيها إشكالاً أو تعارضًا ويجيب عنها، والأمور التي يندفع بها الإشكال ويزول كثيرة ذكر الزركشي منها سبعة(١)، وذكر في طريقة الجمع بين ما ظاهره التعارض بين الآيات أمورًا ستة يستطيع بها المفسر إزالة التعارض(٢)، كما ذكر خمسة من أسباب موهم تعارض الآيات ظاهرًا(٣).

أما ما يدعيه الملحدون والزنادقة من أن هناك آيات تتعارض مع غيرها فليس بصحيح بحال من الأحوال وأن القائلين بذلك - إذا ما سلمت نواياهم - قد جاءهم من عدم الإدراك أو سوء الفهم. إذ لا يعرف فضل القرآن كما يقول ابن قتيبة: «إلا

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٢١٧).

(٢) انظر: المرجع السابق (٢/ ٥٧).

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢/ ٦٤). وانظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن: د. أحمد إبراهيم البريدي في مواضع متفرقة.

من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتتانها في الأساليب وما خص الله لغتها دون جميع اللغات»(١).

وهو ما أشار إليه الإمام الشافعي بقوله: «وأولى أن لا يشك عالم في لزومها، وأن يعلم أن أحكام الله ثم أحكام رسوله لا تختلف، وأنها تجري على مثال واحد»(٢).

وقال الشاطبي في نفي الاختلاف عن الشريعة: «ثبت أنه لا اختلاف في أصل الشريعة، ولا هي موضوعة على كون وجود الخلاف فيها أصلاً يرجع إليه مقصودًا من الشارع، بل ذلك الخلاف راجع إلى أنظار المكلفين وإلى ما يتعلق بهم من الابتلاء، وصح أن نفي الاختلاف في الشريعة وذمه على الإطلاق والعموم في أصولها وفروعها، إذ لو صح فيها وضع فرع واحد على قصد الاختلاف لصح فيها وجود الاختلاف على الإطلاق»(٣).

وقال أيضًا مبينًا ما يجب على الناظر في الشريعة من «أنه لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية ولا بين أحدهما مع الآخر، بل الجميع جار على مهيع واحد، ومنتظم إلى معنى واحد، فإذا أداه بادئ الرأى إلى ظاهر الاختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الاختلاف؛ لأن الله قد شهد أنه لا اختلاف فيه، فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع، أو المسلم من غير اعتراض، فإذا كان الموضع مما يتعلق به حكم عملي فليلتمس المخرج حتى يقف على الحق اليقين، أو ليبق باحثًا إلى الموت ولا عليه من ذلك»(٤) وهو ذات المعنى الذي أكده ابن حزم: «وبطل مذهب من أراد ضرب الحديث بعضه ببعض، أو ضرب الحديث بالقرآن، وصح أنه ليس شيء من كل ذلك مخالفًا لسائره، علمه من علمه، وجهله من جهله،... وكل ذلك

---

(١) مشكل القرآن: ص (١١) ط الحلبي.

(٢) الرسالة: ص (١٧٣) تحقيق الشيخ أحمد شاكر ـ دار الكتب العلمية.

(٣) الموافقات (٤/ ١٣١) بعناية محمد عبد الله دراز ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر.

(٤) الاعتصام (٢/ ٣١٠).

كلفظة واحدة، وخبر واحد، موصول بعضه ببعض، ومضاف بعضه إلى بعض، ومبني بعضه على بعض»⁽¹⁾.

ويزيد الإمام حافظ الدين النسفي الأمر وضوحًا من خلال بيان الأسباب التي من أجلها ينشأ التعارض بقوله: «اعلم أن الحجج الشرعية من الكتاب والسنة لا يقع بينهما التعارض والتناقض حقيقة؛ لأن ذلك من أمارات العجز، والله تعالى يتعالى عن أن يوصف بالعجز، وإنما يقع التعارض فيما بيننا لجهلنا بالناسخ من المنسوخ، ولجهلنا بالتاريخ، حتى إذا علم التاريخ لا تقع المعارضة بوجه، ولكن اللاحق ناسخ للسابق»⁽²⁾.

أما شهاب الدين الرملي فقد بين وجوه رفع الإشكال فقال: «وإنما وقع التعارض بين أدلة الفقه؛ لكونها ظنية إذ لا تعارض بين قاطعين، ولا قاطع وظني، فلا يخلو إما أن يكونا عامين، أو خاصين، أو أحدهما عامًا والآخر خاصًا، أو كل واحد منهما عامًا من وجه وخاصًا من آخر»⁽³⁾.

بل إن التعارض منفي عن الحديث فضلاً عن القرآن. فإذا كان الخطيب البغدادي يقول في نفي الاختلاف بين الحديثين: «وكل خبرين علم أن النبي ﷺ تكلم بهما فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين، لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون إباحة وحظراً، أو يوجب كون أحدهما صدقًا والآخر كذبًا إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منزه عن ذلك أجمع ومعصوم منه باتفاق الأمة»⁽⁴⁾.

---

(1) الإحكام (٢/ ٣٥).

(2) كشف الأسرار ـ للنسفي (٢/ ٨٨).

(3) غاية المأمول في شرح ورقات الأصول ـ لشهاب الدين الرملي، ص (٢٣٠) رسالة ماجستير ـ كلية الشريعة ـ بالأزهر.

(4) الكفاية: ص(٤٣٣).

وهو المروي أيضًا عن محمد بن إسحاق بن خزيمة في قوله: «لا أعرف أنه روي عن رسول الله ﷺ حديثان بإسنادين صحيحين متضادان، فمن كان عنده فليأت به حتى أؤلف بينهما»⁽¹⁾. الأمر الذي يعني أن نفي التعارض في القرآن الكريم يكون من باب أولى.

أما هؤلاء الملحدون الذين اعترضوا على كتاب الله بالطعن بالتناقض فقد وصفهم ابن قتيبة بأنهم: «ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿**مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ**﴾ (آل عمران: ٧)، بأفهام كليلة وأبصار عليلة؛ ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله؛ ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر،؛ والحدث الغر؛ واعترضت بالشبه في القلوب، و قدحت بالشكوك في الصدور»⁽²⁾، ثم يسترسل مبينًا هدفه من وضع كتابه (تأويل مشكل القرآن) فيقول «فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن؛ مستنبطًا ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب؛ لأرى المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل»⁽³⁾.

وهكذا تستمر جهود العلماء في تنزيه القرآن عن التعارض والتناقض والإشكال فنجد المفسرين يولون هذا الأمر عنايتهم واهتمامهم فيتتبعون الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض ويجمعون بينها وكذلك سائر العلماء يصنفون التصانيف في دفع ما يتوهم من إشكال على ما يأتي.

---

(١) المصدر السابق، علوم الحديث ـ لابن الصلاح، ص (٢٨٥).

(٢) تأويل مشكل القرآن: ص (٢٢).

(٣) تأويل مشكل القرآن: ص (٢٣).

المطلب الثالث

أشهر المصنفات التى عالجت المشكل

تعددت تصانيف العلماء والمفكرين فى دفع المشكل عن القرآن الكريم؛ تبعًا لأهداف العلماء والمصنفين.

فإذا كان مقصدهم توضيح الأمر لمن التبس عليه شيء من القرآن الكريم فإن موضع الكشف والبيان يكمن فى مثل ما جاء فى كتاب (الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة) للزركشى، وعلى نحو ما نجده فى تفاسير القرآن الكريم المختلفة، حيث يقوم المفسرون بإزالة ما قد يثار من إشكال عند تفسيرهم، وهو ما يظهر جليًا فى أعمال الشيخ العثيمين ~ .

إما إذا كان دفع الإشكال هو الكيد للإسلام والقرآن الكريم، على نحو ما يظهر من طعون الملاحدة والزنادقة مثل: ابن الراوندي الملحد، وابن المقفع، وغيرهما من أئمة الكفر في القديم والحديث؛ فعندئذ يتصدى العلماء والمفكرون لهؤلاء بالنقض والتفنيد، ويضعون المؤلفات والمصنفات ما يجعل كيدهم فى نحرهم، ومن أشهر هذه المصنفات:

١ ـ مشكل القرآن ـ ابن قتيبة.
٢ـ تنزيه القرآن عن المطاعن ـ القاضي عبد الجبار الهمدانى.
٣ ـ إعجاز القرآن ـ القاضي عبد الجبار (من سلسلة المغني).
٤ ـ متشابه القرآن ـ القاضي عبد الجبار.
٥ ـ تثبيت دلائل النبوة ـ القاضي عبد الجبار.
٦ ـ إعجاز القرآن ـ القاضي الباقلاني.
٧ ـ الانتصار لنقل القرآن ـ القاضي الباقلاني.

٨ ـ غرة التأويل ودرة التنزيل ـ الخطيب الإسكافي.

٩ـ مسائل الرازي وأجوبتها ـ الرازي.

١٠ ـ تفسير آيات أشكلت ـ شيخ الإسلام ابن تيمية.

ونظرًا لأن أكثر الملحدين طعنًا فى القرآن الكريم ابن الراوندي الذي صنف عدداً من الرسائل يطعن من خلالها على القرآن الكريم، فقد قام العلماء بالرد عليه طيلة القرون الماضية، الأمر الذى جعل عبدالأمير الأعسم يتتبع هذه الردود ويجمعها حتى صارت ثلاثة مجلدات، فكان الأول بعنوان تاريخ ابن الراوندي الملحد، والمجلد الثاني والثالث بعنوان ابن الراوندي في المصادر العربية.

أيضاً من هؤلاء الملحدين الطاعنين ابن المقفع، وقد رد عليه العديد من العلماء أشهرهم القاسم الرسي في كتابه الرد على ابن المقفع الملحد.

وقد تتابعت مصنفات العلماء قديماً وحديثاً في الرد على هؤلاء الطاعنين على نحو ما نجد لدي الأستاذ عزة دروزة في كتابيه القرآن والملحدون، القرآن والمبشرون وغير ذلك من المؤلفات.

ونعرض الآن لواحد من هذه المصنفات، وهو (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة حيث يعد هذا الكتاب من أوائل المصنفات التي ردت على الطاعنين كيدهم من خلال ردوده القوية والمفحمة لهؤلاء الزنادقة، وقد قارب الكتاب الستمائة صفحة، حيث بين مكانة القرآن الكريم وفضله.

ويحدثنا ابن قتيبة ـ عما دعاه إلى تأليف هذا الكتاب، وما صنعه فيه فيقول: «وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ (آل عمران: ٧)؛ بأفهام كليلة، وأبصار عليلة، ونظر مدخول؛ فحرفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سبله؛ ثم قضوا

---

(١) وقد قام بتحقيقه / السيد أحمد صقر .

عليه بالتناقض، والاستحالة في اللحن، وفساد النظم، والاختلاف. وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيرة، والبراهين البينة، وأكشف للناس ما يلبسون، فألفت هذا الكتاب جامعًا لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة الشرح والإيضاح، وحاملاً ما أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب، لأرى المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل، ولم يجز لي أن أنص بالإسناد إلى من له أصل التفسير، إذ كنت لم أقتصر على وحي القوم حتى كشفته، وعلى إيمائهم حتى أوضحته، وزدت في الألفاظ ونقصت، وقدمت وأخرت، وضربت لذلك الأمثال والأشكال حتى يستوي في فهمه السامعون»(١).

مبينًا العلة فى تقحم الطاعنين: «أن فضل القرآن لا يعرفه إلا من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب، وافتنانها في الأساليب ، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم، أمة أوتيت من العارضة والبيان، واتساع المجال ما أوتيته العرب.. «ثم ذكر حال العرب في مباني ألفاظها وإعرابها، وألوان فروقها بين معاني الألفاظ، وتحدث عما لها من الشعر (الذي أقامه الله لها مقام الكتاب لغيرها، وجعله لعلومها مستودعا، ولآدابها حافظاً، ولأنسابها مقيداً، ولأخبارها ديواناً لا يرث على الدهر ولا يبيد على مر الزمان.»..

ثم استطرد مبينًا أنه بكل هذه المذاهب نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم، على أن ينقله إلى شيء من الألسنة، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله تعالى بالعربية، لأن المعجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى:

---

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة، ص١٧.

﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾ (الأنفال: ٥٨)، لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته، حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد ـ فخفت منهم خيانة ونقضًا ـ فأعلمه أنك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء وكذلك قوله تعالى: ﴿ فَضَرَبۡنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمۡ فِي ٱلۡكَهۡفِ سِنِينَ عَدَدٗا ﴾ (الكهف: ١١)، إن أردت أن تنقله بلفظها لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت أنمناهم سنين عدداً لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ، وكذلك قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ (الفرقان: ٧٣)، إن ترجمته بمثل لفظه استغلق، وإن قلت: لم يتغافلوا، أديت المعنى بلفظ آخر.

واعتقد أن كلام ابن قتيبة في مسألة ترجمة القرآن هو القول الفصل الذي يجب التمسك به، وعدم العدول عنه.

بدأ ابن قتيبة كتابه بالحكاية عن الطاعنين، فسرد مطاعنهم على اختلاف أنواعها، ثم عقد أبواباً للرد عليهم في وجوه القراءات، وما ادعوه على القرآن من اللحن، وما نحلوه من التناقض والاختلاف بين آيه، وما قالوه في المتشابه، كما أجاب عن قولهم: ماذا أراد بإنزال المتشابه في القرآن، من أراد لعباده الهدى والبيان !.

ثم ذكر تأويل الحروف التي ادعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النظم، فتحدث عن الحروف المقطعة، واختلاف المفسرين فيها. ثم خلص من الكلام عليها إلى الكلام على مشكل سور القرآن، فيذكر ما في السورة منه ثم يؤوله، ولكنه لم يرتب السور على حسب ترتيبها المعروف في المصحف، بل ذكرها حسبما عَنَّ له من مشاكلها. وقد لا يستوفي الكلام على مشاكل السورة التي يذكرها، فيعيد ذكرها مرة أو مرات: مثلما فعل في سورة البقرة والأنعام، وسورة النحل و النساء.

فقد تحدث عن مشكل السورتين الأولين في أربعة مواضع، وتحدث عن مشكل الثانيتين في ثلاثة - كما أنه لم يعرض لكل سور القرآن. والسورة الوحيدة التي استوفى تأويلها، وشرحها كلها - من بين السور التي ذكرها - هي سورة الجن، لما فيها من إشكال وغموض، بما وقع فيها من تكرار (إن) واختلاف القراء في نصبها وكسرها ، واشتباه ما فيها من قول الله وقول الجن.

وبعد أن فرغ ابن قتيبة من تأويله لمشكل السور التي ذكرها، عقد باباً عظيم القدر، بالغ الأهمية، وهو (باب اللفظ الواحد للمعاني المختلفة)، تحدث فيه عن نيف وأربعين لفظاً من الألفاظ التي جاءت في القرآن متحدة المباني، مختلفة المعاني، كالقضاء والبلاء، والأمة والرؤية والإمام والإسلام، والفتنة والسلطان، والضلال والنسيان، والحساب والكتاب.

ثم ذكر ابن قتيبة بعد ذلك (باب تفسير حروف المعاني، وما شاكلها من الأفعال التي لا تتصرف) كأين، وأنى، ولولا، ولوما، ولا جرم، وتعالى، وهلم، ورويدًا، ولدن.

ثم ختم كتابه بباب (دخول بعض حروف الصفات مكان بعض).

والخلاصة أن هذا الكتاب يعد مرجعاً هاماً ومصدراً لكثير من العلماء الذين أتوا بعده واستفادوا منه.

المبحث الثاني

موقف العلامة العثيمين من المشكل

المطلب الأول

التعريف بالشيخ العلامة العثيمين

هو العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبدالرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ في عنيزة ـ إحدى مدن القصيم ـ في المملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية:

نشأ ~ شأنه شأن أقرانه من العلماء بالتوجه إلى الكتاب حيث ألحقه والده ـ رحمه الله تعالى ـ ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلِّم عبدالرحمن بن سليمان الدامغ، ثمَّ تعلَّم الكتابة، وشيئًا من الحساب، والنصوص الأدبية، ثم حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده ~ أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ يدرِّس العلوم الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتَّب اثنين من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع ~ حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة السعدي ~ ، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو،

وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ~ هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، واتِّباعه للدليل.

كما قرأ على الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان قاضي عنيزة علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

كما التحق بالمعهد العلمي في الرياض فى عامي ١٣٧٢ ـ ١٣٧٣هـ.

ولقد انتفع ـ خلال السنتين اللّتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي ـ بالعلماء الذين كانوا يدرِّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدِّث عبدالرحمن الإفريقي ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وفي أثناء ذلك اتصل بسماحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ~ هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثُّر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يَدرُسُ على شيخه العلامة عبدالرحمن ابن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتسابًا في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءًا من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالبًا في حلقته، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.

ولمّا تخرَّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّسًا في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ، وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلاّمة عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ ~ يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى إنهم يبلغون المئات في بعض الدروس، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرسًا، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وبقي الشيخ مدرِّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكان يدرِّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ.

آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة ـ رحمه الله تعالى ـ خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

اهتم الشيخ بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميَّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

مناصبه:

تولى الشيخ ~ عضوية العديد من الهيئات والمجامع العلمية، فقد كان ~ :

- عضوًا في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.
- عضوًا في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨ ـ ١٤٠٠هـ.
- عضوًا في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيسًا لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألّف عددًا من الكتب المقررة بها.
- عضوًا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢هـ إلى وفاته ~ حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
- ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل ~ العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ(١).

---

(١) ولمزيد من التفصيل انظر:

- ابن العثيمين الإمام الزاهد، ناصر بن مظفر الظهرانى.
- الجامع لحياة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثى، وليد بن أحمد الحسين.
- أربعة عشر عامًا مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، عبد الكريم بن صالح المقرن.
- الدر الثمين فى ترجمة العلامة ابن العثيمين ـ مجموعة من الباحثين.
- ابن العثيمين سيرة زاهد، خالد قندوس.
- وقفات فى حياة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، رحمه الله، إحسان بن محمد العتيبى.
- جهود الشيخ ابن العثيمين وآراؤه فى التفسير وعلوم القرآن ـ د. أحمد بن محمد بن إبراهيم البريدي.
- الموقع الإلكتروني الخاص بالشيخ العثيمين.

المطلب الثاني

اهتمام الشيخ العلامة ابن عثيمين بالمشكل

يعد الشيخ ابن عثيمين واحدًا من أبرز رجالات السلف المعاصرين سواء من حيث سمته وهديه أو من حيث علمه الذي شمل مختلف العلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث مع تبحر في علوم اللغة على ما يظهر في مؤلفاته العديدة والمتنوعة، ونظرة سريعة إلى جهوده في فرع من فروع علوم القرآن وهو المشكل ترينا ذلك رأى العين.

والمتتبع لآثار الشيخ ابن عثيمين وأعماله يلحظ بوضوح مدى اهتمامه بمعالجة المشكل بكافة أنواعه سواء في تفسيره أو في فتاويه فضلاً عن شروحه و رسائله، بل إنه ليهتم بذلك الجانب حتى في مقالاته الصحفية⁽¹⁾. فيندر أن نجد كتابًا أو رسالة له إلا وفيها عرض لظاهر آية تتعارض مع أخرى أو حديثًا يخالف نصًا قرآنيًا أو شيئًا من النصوص يخالف ما استقر عليه العلم اليوم من تلك العلوم التي صارت يقينا، و يقف خلف ذلك كله يقين كامل بسلامة النص القرآني عن الاضطراب أو التعارض فيقرر في ثقة المؤمن ويقين العالم شأنه في ذلك شأن المسلمين جميعًا أنه لا يوجد تعارض أو اختلاف بين النصوص الشرعية فيما يتعلق بالقرآن الكريم بعضه بعضًا أو فيما يتعلق بين القرآن والسنة، بل بين بعض الأحاديث وبعضها الآخر فيقول في هذا الصدد «لا يمكن أن يقع تعارض بين كلام الله وكلام رسوله الذي صح عنه أبداً، لأن الكل حق والحق لا يتعارض، والكل من عند الله، وما عند الله لا يتعارض ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢).

---

(١) انظر على سبيل المثال مجلة البحوث الإسلامية: العدد ١٢ـ ربيع الثاني ـ جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ، (ص ٢٣٠) (لا يحسب حاسب أن شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة....).

ثم يلفت النظر إلى ما قد يقع ظاهرًا في بعض النصوص من أن السبب في ذلك يرجع إلى القارئ نفسه ومدى ما حصله من علم ودراية بالنصوص الشرعية فيخاطب مثل ذلك الشخص بقوله: «فإذا وقع ما يوهم التعارض في فهمك فاعلم أن هذا ليس من النص، ولكن باعتبار ما عندك فأنت إذا وقع التعارض عندك في نصوص الكتاب والسنة فإما لقلة العلم وإما قصور الفهم وإما لتقصير في البحث والتدبر ولو جئت وتدبرت لوجدت أن التعارض الذي توهمته لا أصل له»(١).

ثم يقرر هذا المعنى في موضع آخر فيقول: «ونعلم علم اليقين أن ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه فهو حق لا يناقض بعضه بعضًا... ولأن التناقض في الأخبار يستلزم تكذيب بعضها بعضًا، وهذا محال في خبر الله تعالى ورسوله ﷺ».

ثم يبين الآفة التي قد تعرض للبعض من قلة اليقين أو شؤم المعصية قائلا: «ومن ادعى أن في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ، أو بينهما تناقضًا، فذلك لسوء قصده، وزيغ قلبه، فليتب إلى الله ولينزع عن غيه».

ثم يستطرد ناصحًا من يغم عليه شيء من ذلك بأن يمعن النظر وينعم الفكر فإن علم المعنى فبها ونعمت، وإلا فعليه أن يفوض الأمر إلى الله تعالى: «ومن توهم التناقض في كتاب الله تعالى أو في سنة رسوله ﷺ أو بينهما، فذلك لقلة علمه، أو قصور في فهمه، أو تقصير في التدبر، فليبحث عن العلم، وليجتهد في التدبر حتى يتبين له الحق، فإن لم يتبين له فليكل الأمر إلى عالمه وليكف عن توهمه، وليقل كما يقول الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧)، وليعلم أن الكتاب والسنة لا تناقض فيهما ولا بينهما اختلاف»(٢).

ولا يفوت ابن عثيمين من أن يفرق بين أمرين مختلفين هما اختلاف التنوع

---

(١) شرح العقيدة الواسطية: ص(٧٤)، ط دار المختار القاهرة.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٣/ ٢٣٧).

واختلاف التضاد.

والفرق بين اختلاف التنوع واختلاف التضاد: أن اختلاف التضاد لا يمكن الجمع فيه بين القولين، لأن الضدين لا يجتمعان(١).

واختلاف التنوع يمكن الجمع فيه بين القولين المختلفين؛ لأن كلاًّ منهما ذكر نوعًا والنوع داخل الجنس، وإذا اتفقا في الجنس فلا اختلاف.

وعلى ذلك فاختلاف التضاد معناه أنه لا يمكن الجمع بين القولين لا بجنس ولا بنوع، واختلاف التنوع معناه أنه يجمع بين القولين في الجنس ويختلفان في النوع، فيكون الجنس اتفق عليه القائلان ولكن النوع يختلف، وحينئذ لا يكون هذا اختلافًا لأن ذكر كل واحد منهما نوعًا كأنه على سبيل التمثيل، ولا يفتأ ابن عثيمين من تكرار نفي الاختلاف والتعارض لأهمية ذلك في بيان إعجاز القرآن الكريم، وفي كل مرة يتحدث عن نفي هذا الاختلاف يبين موقف المسلم من ظواهر الآيات الموهمة للتعارض وهو التدبر أو التفويض»(٢).

وكل شيء في القرآن الكريم تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢). فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ (آل عمران: ٧). وكل الأمر إلى منزله الذي يعلمه، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك، وأن القرآن لا تناقض فيه.

والشيخ في تأكيده على خلو القرآن الكريم وسائر الأدلة الشرعية من التعارض يجعل ذلك من قبيل القواعد والكليات المقررة والمقطوع بها فيقول: «يجب أن نعلم

---

(١) وتمام القول أن الضدين لا يجتمعان في شيء واحد من جهة واحدة ولكن يرتفعان، أما النقيضان فلا يجتمعان ولا يرتفعان. انظر: المعجم الفلسفي: جميل صليبا (١/ ٢٨٥).

(٢) شرح مقدمة التفسير ص (٢٨ – ٢٩).

قاعدة مهمة جداً، وهى أنه لا يمكن أن يتعارض دليلان قطعيان أبدًا لا من القرآن، ولا من السنة، ولا من العقل، لأنهما لو تعارضا لكان أحدهما ثابتًا والآخر منتفيًا، وإذ قلنا الآخر منتفياً زال عنه اسم القطعي»⁽¹⁾. ولعل أول تطبيقات الشيخ في هذا الصدد الاستدلال بقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢)، ليناقش ما يردده البعض: إننا نجد في كتاب الله ما ظاهره التعارض فكيف يتفق مع هذه الآية؟

فتأتي الإجابة على الوجه التالي:

نقول: «إذا رأيت شيئًا في كتاب الله ظاهره التعارض فهذا:

- إما لقصور في فهمك، يعنى أن فهمك رديء قاصر.

- أو لقصور علمك؛ أى أن هناك علماً يبين الجمع بينهما ولكنك لم يبلغك هذا العلم.

- وإما لسوء في قصدك لأن الإنسان إذا كان قصده سيئًا فإنه لا يوفق... ويمكن أن نزيد احتمالاً رابعًا وهو التقصير في الطلب، والتقصير في الطلب نتيجته عدم العلم لكن إذا عرضناه على أنه سبب رابع كان جيداً، وعلى هذا فأسباب عدم فهم القرآن أربعة، وفيه آيات متعارضة ظاهرًا لكنها لا تتعارض في الحقيقة وهى آيات متعددة ذكرها كثير من العلماء وألفوا فيها ومنهم الشيخ الشنقيطي ~ في كتابه: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب»⁽²⁾، ويلاحظ بهذا الصدد حسن خلق الشيخ فهو يرشد قراءه إلى أعمال شيوخه تقديرًا لهم وعرفاناً، وهو خلق قد غاب عن كثير من الدعاة اليوم.

---

(١) تفسير سورة الزمر (الآية ٤٢).

(٢) تفسير سورة النساء ص (٥٠٨). وانظر: تفسير سورة يس ص (١٤)، وقد استفاد الشيخ ابن عثيمين في الجمع بين ما ظاهره التعارض من كتاب الشنقيطي المذكور كثيرا ولا عجب إذ الشنقيطي أحد مشايخه رحمة الله على الجميع. =

المطلب الثالث

منهج الشيخ ابن عثيمين في دفع الإشكال

المتأمل في جهود الشيخ ابن عثيمين لدفع الإشكال الظاهري بين الآيات يلحظ أنه قد اعتمد على عدد من القواعد في رفع التعارض وإزالة ما يعتري بعض الآيات من إيهام التناقض، وقد قرر الشيخ طريقته في إزالة ما ظاهره التعارض فقال: «فإن وجد شيء ظاهره التعارض فإنه لا بد أن يكون هناك وجه لتصحيح التعارض: إما بإمكان الجمع وهو المرتبة الأولى للعمل بالنصوص التي ظاهرها التعارض، وإما بالنسخ إن علم التاريخ وكان النص مما يدخله النسخ، وإما بالترجيح فيكون أحدهما أرجح من الآخر ولا بد من هذه المراتب الثلاث»(١).

كما قرر أيضًا: «إن النصوص التي ظاهرها التعارض يحمل كل واحد منها على الحال المناسبة لئلا يتوهم التعارض بين النصوص الشرعية»(٢).

وأولى هذه القواعد:

١ ـ الاختيار والترجيح من آراء السابقين:

لا يكتفي ابن عثيمين بنقل آراء السابقين وعزوها إليهم خروجًا عن العهدة وإنما يقوم بدراسة هذه الآراء ومناقشتها والترجيح فيما بينها بحيث يختار الأقوى تفاديًا لإشكالات تأتى من قبل بعض هذه الآراء المرجوحة ومن الأمثلة على ذلك

= وممن نوَّه فى تلمذة الشيخ ابن العثيمين على الشنقيطى الدكتور أحمد البريدي فى رسالته: جهود الشيخ ابن العثيمين ص٣٣، حيث ذكر أن الشيخ ابن العثيمين درس عليه فى المعهد العلمى بالرياض، ط مكتبة الرشد ناشرون ـ الرياض.

(١) انظر: القول المفيد (٢/ ٢٠٨).

(٢) نفس المصدر. وللاستزادة في تقرر الشيخ لهذه المسألة انظر مبحث التعارض من كتابه: الأصول من علم الأصول المطبوع ضمن مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١١/ ٧٢).

جمعه بين النصوص الشرعية التي لا تكفر المسلم بالمعاصي وبالتالي لا يخلد في النار وبين قوله تعالى في شأن قاتل المؤمن المتعمد كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا ﴾ (النساء: ٩٣).

فيقول في هذا الصدد (يشكل على منهج أهل السنة ذكر الخلود في النار حيث رتب على القتل، والقتل ليس بكفر، ولا خلود في النار عند أهل السنة إلا بالكفر)(١).

ثم يذكر الوجوه الستة التي أوردها المفسرون في رفع التعارض الواقع هنا، ثم أخذ يناقش كل وجه على حدة ويبين عدم صلاحيته لدفع الإشكال حتى خلص في النهاية إلى اختيار وجهين يصلحان لدفع هذا الإشكال مع ترتيبهما فاختار من هذه الوجوه تفسير الخلود بالمكث الطويل مستدلاً على ذلك بالمتعارف عليه بين العرب من إطلاق الخلود على المكث الطويل، ثم أشار إلى وجه آخر وهو أن ذلك من قبيل السبب وأنه إذا وجد المانع لم ينفذ السبب وهو الوجه الآخر الذي ارتضاه من الوجوه الأخرى التي ذكرها المفسرون(٢).

٢ـ العموم والشمول:

ويلاحظ المطلع على تراث الشيخ في هذا المجال أنه لم يقتصر على سبب واحد من أسباب الإشكال وإنما تناول جميع الأسباب التي تؤدي إلى ظهوره، فنراه مثلاً يتناول إيهام الآيات بعضها بعضًا كما يتناول ما قد يثار من إشكال بين الحديث والقرآن أو بين القرآن وقواعد اللغة أو بين القرآن والحس والواقع وغير ذلك مما نعرض له في هذه العجالة.

٣ـ الاعتماد على السنة النبوية:

إذا كانت الطريقة المثلى للتفسير هي أن يفسر القرآن بالقرآن ثم يفسر القرآن

---

(١) شرح العقيدة الواسطية ط المختار، القاهرة ص ١٦٨.

(٢) نفس المصدر ص ١٦٩.

بالسنة إذ إنها جاءت بيانًا له فإن الطريقة المثلى ذاتها تكمن في أن ننظر في السنة النبوية كأداة أو وسيلة لرفع ما يعرض للآية من إشكال أو توهم تعارض، ومن هنا فقد اعتمد الشيخ ابن عثيمين على السنة كطريق لإزالة الإشكال ورفعه، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ﴾ (البقرة: ١٣٣)، ولما كان إسماعيل عماً ليعقوب، وليس أبًا له أو جدًّا، الأمر الذي أثار إشكالاً في تسميته أبًا ليعقوب ـ عليهم السلام ـ فيلجأ الشيخ العثيمين إلى السنة، ليجد فيها ما يرفع هذا الإشكال من خلال قوله ﷺ: «**الخالة بمنزلة الأم**»⁽¹⁾.

فهنا نجد الشيخ يرفع الإشكال بجواز تسمية العم أبًا قياسًا على تسمية الخالة أمًا على نحو ما ورد فى الحديث، فتستقيم التسمية.

٤ـ القواعد اللغوية:

من آليات التوفيق عند الشيخ ابن عثيمين استعانته بقواعد اللغة في رفع الإشكال الوارد بين النصوص وهو كثيرًا ما يلجأ إليه عند دراسته لآيات الصفات. أو عند توجهه للإجابة عن المشكل الإعرابي.

ومن أمثلة ذلك القاعدة المعروفة بأن المفرد يعم إذا ما أضيف ففي حديثه عن النصوص الواردة في الأيدى أو الأعين يكون الجواب (لا تنافي وذلك لأن المفرد المضاف يعم فيشمل كل ما ثبت لله من عين؛ وحينئذ فلا منافاة بين المفرد وبين الجمع والتثنية)⁽²⁾.

أيضًا من القواعد التي يعتمدها في هذا المجال ما ذهب إليه بعض النحاة من

---

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب الصلح، باب كيف يكتب هذا ما صالح عليه فلان بن فلان وفلان ابن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه.

(٢) شرح العقيدة الوسطية، مصدر سابق، ص(٢٠٤).

أن أقل الجمع اثنان مستدلين على ذلك بقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ (التحريم: ٤)، وهما اثنتان والقلوب جمع والمراد به قلبان فقط.

كما يستدلون كذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ (النساء: ١١)، والمراد به اثنان(١).

فنجده يستخدم هذه القاعدة في التوفيق بين ورود العين في صيغة التثنية وورودها في صيغة الجمع وذلك في قوله: (إن أقل الجمع اثنين فلا منافاة لأننا نقول هذا الجمع لا يراد به الثلاثة وإنما يراد به التعظيم والتناسب بين ضمير الجمع وبين المضاف إليه)(٢).

٥ـ الإيجاز:

تميز منهج الشيخ بالبعد عن الاستطرادات مكتفيًا ببيان وجه الجمع مقتصرًا على الشاهد فقط وذلك جريًا على عادة السلف في ذلك.

ولا يتوسع في ذلك إلا إذا دعت الضرورة، مثل حديثه عن المعية وآيات الصفات بوجه عام؛ ليتسنى له بيان مذهب أهل السنة والانتصار له في مواجهة الفرق الأخرى، من أجل أهمية عرض العقيدة وفق منهج السلف الصالح.

نماذج من جهود الشيخ

اهتم ابن عثيمين بجميع الأسباب التي ينشأ عنها المشكل كما سبقت الإشارة، كما جاءت إجاباته حسب سياقها فأحيانًا يعرض للمشكل أثناء تأليفه كما هو الشأن في التفسير أو في شروح الأحاديث أو التعليق والشرح على بعض الرسائل والكتب (شرح العقيدة الواسطية)، و (القول المفيد في شرح كتاب التوحيد)، و(مقدمة

---

(١) نفس المصدر ص(١٩٢).

(٢) نفس المصدر.

أصول التفسير) أو في رسائله المفردة مثل (القواعد المثلى) وغيرها.

وأحيانًا تأتي إجاباته من خلال ما يصدره من فتاوي تأتيه من هنا أو من هناك تتعلق بالاستفسار عن معنى آية يوهم ظاهرها الاختلاف إما لمقابلة آية لها أو مخالفة حديث فيأتي جوابه مبينًا المعنى المراد.

ونورد هنا أمثلة ونماذج لكل سبب من هذه الأسباب.

القسم الأول: الآيات موهمة التعارض:

١ ـ اشتراك العباد في القوة:

في قوله تعالى: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ (الكهف: ٣٩).

يثار سؤال يتعلق بالآيات الأخرى التي تنسب إلى العبد القوة في حين أن هذه الآية تقصرها على الله تعالى الأمر الذي يوهم التعارض فيأتي الشيخ ليجيب على هذا التساؤل بقوله: «فإن قيل: ما الجمع بين عموم نفي القوة إلا بالله، وبين قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ (الروم: ٥٤)، وقال عن عاد: ﴿وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥)، ولم يقل: لا قوة فيهم، فأثبت للإنسان قوة.

فالجواب: أن الجمع بأحد الوجهين:

الأول: أن القوة التي في المخلوق كانت من الله عز وجل، فلولا أن الله أعطاه القوة، لم يكن قوياً، فالقوة التي عند الإنسان مخلوقة لله، فلا قوة في الحقيقة إلا بالله.

الثاني: أن المراد بقوله: ﴿لَا قُوَّةَ﴾ أي: لا قوة كاملة إلا بالله عز وجل»(١).

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢١٤)، وانظر كذلك: (١/ ٦١، ٢٥٠، ٢٩٩، ٣٦٩، ٣٩٩).

٢ ـ جنة أم جنتين:

وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ دَخَلۡتَ جَنَّتَكَ قُلۡتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ (الكهف: ٣٩). يأتي سؤال آخر وهو أن هذه الآية تخالف نظيرتها من أنه كانت له جنتان وليست جنة واحدة (جنتك) هذه مفرد، والمعلوم من الآيات أن له جنتين، فما هو الجواب حيث كانت هنا مفردة مع أنهما جنتان؟

وقد أجاب عن هذا **بجوابين**:

١ ـ أن المفرد إذا أضيف يعم فيشمل الجنتين.

٢ ـ أن هذا القائل أراد أن يقلل من قيمة الجنتين، لأن المقام مقام وعظ وعدم إعجاب بما رزقه الله، كأنه يقول: هاتان الجنتان جنة واحدة، تقليلاً لشأنهما، والوجه الأول أقرب إلى قواعد اللغة العربية(١).

٣ ـ التشاؤم ومصدره:

جمع ~ بين قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ (الأعراف: ١٣١)، وبين قوله تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ (يس: ١٩)، بقوله: «الأولى تدل على أن المقدر لهذا الشيء هو الله عز وجل، والثانية تبين سببه وهو أنه منهم»(٢).

٤ ـ طريقة تناول الصحف يوم القيامة:

سئل الشيخ: كيف نجمع بين قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ (الحاقة: ٢٥)، وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ (الانشقاق: ١٠).

فأجاب قائلاً: «إن الجمع بينهما أن يقال: يأخذه بشماله لكنه تخلع الشمال إلى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ٢١٣).

(٢) القول المفيد (٢/ ٧٩).

الخلف من وراء ظهره، والجزاء من جنس العمل فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره أعطى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره جزاءً وفاقًا»(١).

٥ ـ الصراط المستقيم وتعدده:

أيضًا من صور الجمع بين النصوص ما أشار إليه الشيخ في شرحه لمقدمة (أصول التفسير) لشيخ الإسلام ابن تيمية بين قوله تعالى: ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ المائدة: ١٦)، وبين قوله سبحانه: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ**﴾ الأنعام: ١٥٣)، وذلك بقوله: «إن سبيل الحق واحد لكن له فروع صلاة وزكاة وصوم وحج وما أشبه ذلك، فهذه سبل لكنها تجتمع كلها في سبيل واحد»(٢).

القسم الثاني: التعارض الظاهري بين الآيات والأحاديث:

أما النوع الثاني فيتعلق ببعض الأحاديث التي تتعارض مع النص القرآني، فيتم الجمع بينهما إعمالاً للنصوص جميعًا والمراد بالأحاديث هنا الأحاديث الصحيحة، أما الضعيفة فلا تحتاج إلى جمع ولا تثير إشكالاً. **ومن أمثلة ذلك:**

١ـ المفاضلة بين الرسل:

وذلك من خلال قوله تعالى: ﴿**تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ**﴾ البقرة: ٢٥٣)، الذي يتعارض ظاهرًا مع الأحاديث الناهية عن تفضيل الأنبياء.

فيعرض الشيخ التساؤل قائلا: كيف نجمع بين هذه الآية المثبتة للتفاضل بين الرسل وبين قوله ﷺ: «**لا تخيروني على موسى**»(٣).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ٤٢).

(٢) مقدمة أصول التفسير: ص (١٣)، ط مكتبة السنة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه،كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهود (٣/ ٨٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه،كتاب الفضائل باب من فضائل موسى عليه السلام.

ثم أجاب: «أن يقال: في هذا عدة أوجه من الجمع(١)؛ أحسنها أن النهى فيما كان على سبيل الافتخار و التعلى: بأن يفتخر أتباع محمد ﷺ على غيرهم؛ فيقولوا: «محمد أفضل من موسى» مثلاً أو أفضل من عيسى؛ وما أشبه ذلك؛ فهذا منهي عنه؛ أما إذا كان على سبيل الخبر فهذا لا بأس به؛ ولهذا قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»(٢)(٣).

٢ـ الوزن والموازين:

وردت النصوص بالجمع والإفراد، فمثال الجمع قوله تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ** ﴾ (الأنبياء: ٤٧)، وقال تعالى: ﴿ **وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٨ - ٩)، وأما الإفراد فقال النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٤)، الأمر الذي يوهم التعارض بين الحديث والآيات فجمع بينهما الشيخ باعتبار الموزون حيث إنه متعدد، وأفردت باعتبار أن الميزان واحد، أو ميزان كل أمة، أو أن المراد بالميزان في قوله ﷺ: «ثقيلتان في الميزان» أى في الوزن، ولكن الذي يظهر والله أعلم أن الميزان واحد، وأنه جمع باعتبار الموزون بدليل قوله: ﴿ **فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ** ﴾ (المؤمنون: ١٠٢)(٥).

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم فى نفس الموضعين السابقين.

(٢) انظر: في: تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٩) تفسير القرطبي (٣/ ١٧٠) فتح الباري (٧/ ١٠٩).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه،كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بنى إسرائيل، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٥) شرح العقيدة الواسطية ص (٢٧٠-٢٧١).

٣- الجمع بين طاعة الله ورسوله:

وقد تعرض للجمع بين قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ (النساء: ١٣)، وبين قول الرسول ﷺ لرجل عندما قال: ما شاء الله وشئت: «**أجعلتني لله نداً، بل ما شاء الله وحده**»(١).

ثم أجاب: أن الأمور الشرعية لا حرج أن تقرن الرسول ﷺ مع الرب - عز وجل - بالواو، وأما الأمور الكونية فلا يجوز لأنها من خصائص الربوبية وفعل العبد بعد فعل الله، أما الحكم فإن حكم الرسول ﷺ حكم لله، ولهذا قال الله عز وجل في القرآن: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ (التوبة: ٥٩)، لأن هذا الإتيان إتيان شرعي: إتيان الزكاة وأموال شرعية، أما الأمور الكونية فلا لأنها من خصائص الربوبية، فلابد أن يكون فعل العبد بعد فعل الله ما شاء الله وشئت: هذا لا يجوز لأنك جعلت مشيئة الرسول كمشيئة الله وليس كذلك.

لكن طاعة الرسول طاعة لله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ (النساء: ٨٠)(٢).

٤ - فضل الله وعمل الإنسان:

ومن الأمثلة أيضًا التي تعرض لها ابن عثيمين جمعه بين قوله ﷺ: «**لن يدخل أحدكم عمله الجنة**» وفي رواية: «**لن ينجو أحد منكم بعمله**» قالوا: ولا أنت، قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مواضع (١/ ٣٥٤، ٣٧٠، ٣٦٧)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٨٣).

(٢) تفسير سورة النساء ص (١٠٦). وللاستزادة من الأمثلة انظر: تفسير سورة البقرة (٣/ ٣٠٤)، تفسير سورة النساء ص(٥٤٠)، تفسير سورة الزمر (الآية ٧)، تفسير سورة يس ص(٨٣)، وشرح العقيدة الواسطية (٢/ ٣٨، ٢٦٣)، القول المفيد (١/ ٢٩٠) و(٣/ ٢٠١) والشرح الممتع (٢/ ٨٢) و((٥/ ٤٩٠)، ومجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/ ١٠٠) و(٤/ ٢٧٥).

«ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»(١) الذي يفيد كما قال ابن عثيمين: «إن الإنسان مهما بلغ من المرتبة والولاية فإنه لن ينجو بعمله حتى النبي ﷺ لولا أن الله من عليه بأن غفر له ذنبه وما تأخر، ثم عرض الشيخ بعد ذلك لما قد يتعارض مع هذا الحديث»، فإن قال قائل هناك نصوص من الكتاب والسنة تدل على أن العمل الصالح ينجي من النار ويدخل الجنة مثل قوله تعالى: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً** ﴾ (النحل: ٩٧)، ثم أجاب عن ذلك بقوله: «يجمع بينهما بأن المنفي دخول الإنسان الجنة بالعمل في المقابلة، أما المثبت وهو أن العمل سبب وليس عوضاً، والعمل لا شك أنه سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ولكنه ليس هو العوض وليس وحده الذي يدخل به الإنسان الجنة ولكن فضل الله ورحمته هما السبب في دخول الجنة وهما اللذان يوصلان الإنسان إلى الجنة وينجيانه من النار»(٢).

٥ ـ العمل الصالح و حسن الخاتمة:

ومن مظاهر اهتمام الشيخ ابن عثيمين بالجمع بين النصوص موهمة التعارض توفيقه بين قوله ﷺ: **«إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً... فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»**(٣)، وبين قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا** ﴾ (الكهف: ٣٠)، حيث تدل الآية أن العمل الصالح من المخلص يقبل، وإذا حصل قبول بوعد الكريم أمن مع ذلك من سوء الخاتمة.

وقد أجاب الشيخ عن ذلك بجوابين.

١ ـ أن يكون ذلك معلقًا على شرط القبول وحسن الخاتمة.

---

(١) أخرجه فى مسنده، عن أبى هريرة.

(٢) انظر شرح ابن عثيمين لرياض الصالحين (١/ ٣٨٤)، ط دار القلم ـ القاهرة.

(٣) أخرجه البخارى فى صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ومسلم فى صحيحه، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمى فى بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته.

٢ ـ أن من آمن وأخلص العمل لا يختم له دائمًا إلا بالخير، وأن خاتمة السوء إنما تكون بحق من أساء العمل أو خلطه بالعمل الصالح المشوب بنوع من الرياء والسمعة، ويدل على ذلك الحديث الآخر «**إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس**» أي فيما يظهر لهم صلاح مع فساد سريرته وخبثها(١).

ومن خلال ما سبق يتضح حرص الشيخ ~ على دفع ما ظاهره التعارض بين القرآن والسنة وهذا هو منهج أهل العلم الراسخين الذين يؤمنون ويعتقدون بعدم تعارضهما بحال من الأحوال.

القسم الثالث: الإشكال الإعرابي:

من المقرر أن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربي مبين تحدى العرب وهم أساطين الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله، أو بسورة من مثله فعجزوا مع كونهم أحرص الناس على الطعن في القرآن من جهة فصاحته وبلاغته فلم يجدوا ما يعينهم على ذلك فشهدوا له (بأن له حلاوة وأن عليه طلاوة...)، وفي القرون التالية عندما ذهبت السليقة العربية وصار للعجمة سوق إذ بنا نرى بعض المولدين يقفون أمام بعض الآيات التي خرج نسقها عن الظاهر المألوف في العربية، فأخذوا يشغبون على ظواهر بعض الآيات، الأمر الذي جعل أئمة البيان يتصدون لهم ويبينون سلامة النص القرآني، ومن أشهر هؤلاء ابن قتيبة (في مشكل القرآن) و القاضي عبد الجبار في (إعجاز القرآن) و الباقلاني في كتابه (الانتصار لنقل القرآن) فضلاً عن النحاة أنفسهم ومن أشهرهم الأخفش والفراء والزجاج والنحاس حيث وضعوا كتبًا عديدة في إعراب القرآن فضلاً عن ابن فضالة المجاشعي في كتابه (نكت القرآن).

ولم يفت ابن عثيمين من أن يدلو بدلوه بين هذه الدلاء.

---

(١) شرح الأربعين النووية: ص (٢٧)، ط دار الكوثر.

ومن ذلك بعد أن ذكر الأدلة على إثبات صفة العينين لله تعالى؛ قال: «وبهذا يتبين وجوب اعتقاد أن الله تعالى عينين؛ لأنه مقتضى النص وهو المنقول عن أهل السنة والحديث».

فإن قيل: ما تصنعون بقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ (المؤمنون: ٢٧)، وقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ (القمر: ١٤)، حيث ذكر الله تعالى العين بلفظ الجمع.

قلنا: نتلقاها بالقبول والتسليم، ونقول: إن كان أقل الجمع اثنين ـ كما قيل به إما مطلقًا أو مع الدليل ـ فلا إشكال لأن الجمع هنا قد دل الدليل على أن المراد به اثنتان فيكون المراد به ذلك، وإن كان أقل الجمع ثلاثة فإننا نقول: جمع العين هنا كجمع اليد في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ (يس: ٧١).

يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه، وهو (نا) المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد، وحينئذ لا يصادم التثنية.

فإن قيل: فما تصنعون بقوله تعالى يخاطب موسى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (طه: ٣٩)، حيث جاءت بالإفراد؟

قلنا: لا مصادمة بينها وبين التثنية، لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعددًا، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ (النحل: ١٨)، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة: ٢٣١)، فإن النعمة اسم مفرد، ومع ذلك فأفرادها لا تحصى.

وبهذا يتبين ائتلاف النصوص واتفاقها وتلاؤمها، وأنها ـ ولله الحمد ـ كلها حق وجاءت بالحق.... الخ(١).

٢ ـ وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٥١- ١٥٢).

ﭐلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ ﴾ (البقرة: ١٧٧).

قال: «قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فيه إشكال من حيث الإعراب؛ لأن الذي قبله مرفوع، وهو غير مرفوع؛ يقول بعض العلماء؛ إنه منصوب بفعل محذوف، والتقدير: وأخص الصابرين(١)؛ والبلاغة من هذا أنه إذا تغير أسلوب الكلام كان ذلك ادعى للانتباه؛ فإن الإنسان إذا قرأ الكلام على نسق واحد لم يحصل له انتباه؛ كما يحصل عند تغيير السياق»(٢).

٣ ـ وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ﴾ (الصافات: ٧٧).

قال: «وفي الآية إشكال إعرابي؛ وهى أن (الباقين) منصوبة مع أنها بعد (هم) و(هم) يكون مبتدأ خبره مرفوع فلماذا جاءت منصوبة هنا؟

(الجواب): (هم) ضمير فصل، وضمير الفصل ليس له محل من الإعراب؛ وعلى هذا فتكون (الباقين) المفعول الثاني لـ (جعلنا)(٣)، لأن (جعلنا) من أفعال التصيير فهي بمعنى صيرنا؛ وتنصب مفعولين؛ المفعول الأول: (ذريته)، والمفعول الثاني: (الباقين)»(٤).

٤ ـ أفعل التفضيل وعدم جريانه على ظاهره:

ومن ذلك جمعه بين هذا الحديث ـ يعنى قوله ﷺ في الحديث القدسي ـ «**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي**»(٥). وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ

---

(١) انظر هذا القول وأقوالاً أخرى في إزالة هذا الإشكال في: معاني القرآن للفراء (١/ ١٠٥)، معانى القرآن وإعرابه للزجاج(١/ ٢٤٧)، إعراب القرآن للنحاس (١/ ٢٨٠).

(٢) تفسير سورة البقرة (٢/ ٢٧٩).

(٣) انظر: إعراب القرآن (٣/ ٤٢٦).

(٤) تفسير سورة الصافات (الآية ٧٧).

وللاستزادة من الأمثلة انظر: سورة البقرة (٣/ ١٥٣)، وتفسير سورة النساء ص (٢٢٣، ٨٦٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب نقد الصور، ومسلم في صحيحه،كتاب الزينة، باب تحريم تصوير صور الحيوان.

ٱللَّهِ﴾ (البقرة: ١١٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ (الأنعام: ٢١)، وغير ذلك من النصوص؟

والجواب من وجهين:

الأول: أن المعنى أنها مشتركة في الأظلمية، أي: أنها في مستوى واحد في كونها في قمة الظلم.

الثاني: أن الأظلمية نسبية، أي: إنه لا أحد أظلم من هذا في نوع العمل لا في كل شيء، يقال مثلاً: من أظلم ممن يشابه أحدًا في صنع شيء ممن ذهب يخلق كخلق الله»(١).

القسم الرابع: ما يوهم التعارض العقلي:

قد تأتي بعض النصوص سواء من القرآن الكريم أو من السنة النبوية تعارض مقتضى العقل، ولما كان ذلك غير واقع على سبيل الحقيقة، فإن علماء المسلمين ومن بينهم الشيخ ابن عثيمين، يعملون على نفي هذه الممانعة من خلال الجمع بين مقتضى العقل وظاهر النص.

ومن أمثلة ذلك ردود الشيخ ابن عثيمين على ما يأتيه من فتاوى كسؤاله عما ذكره الرازي من أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ (طه: ٣٩)، يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقرًا على تلك العين لاصقًا بها مستعليًا عليها. وأن قوله تعالى: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ (هود: ٣٧)، يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين؟(٢).

فأجاب بقوله: «ما ذكره الرازي من أن ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ

---

(١) القول المفيد (٣/ ٢٠١)، وانظر كذلك: (١/ ٢٩٠).

(٢) انظر: أساس التقديس للرازي ص (٩٥).

عَيۡنِيٓ ﴾ يقتضي أن يكون موسى عليه السلام مستقرًا على تلك العين لاصقًا بها مستعليًا عليها. وأن قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ (هود: ٣٧)، يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين؟

ثم بين أن القول بظاهر الآيتين ادعاء باطل؛ لأن هذا المعنى الذي ادعى أنه ظاهر الكلام لا يقوله عاقل، كما اعترف به هو، فإن كان معنى باطلاً لا يقوله عاقل فكيف يسوغ لمؤمن بل لعاقل أن يقول: إن هذا ظاهر كلام الله تعالى؟!

ثم يستطرد قائلاً: «إن من جوز أن يكون هذا ظاهر كلام الله عز و جل فقد قدح في الله تعالى وفي كلامه الكريم، حيث جعل مدلوله معنى باطلاً، لا يقوله العقلاء، وإذا تعذر أن يكون هذا المعنى الباطل ظاهر هذا الكلام تعين أن يكون ظاهره معنى آخر يليق بالله تعالى، وهو في الآية الأولى أن تربية موسى عليه السلام على عين الله تعالى، وينظر إليه بعينه، كما تقول: جرى الشيء على عيني، أى حصل وأنا أشاهده وأراه بعيني.

والمعنى في الآية الثانية أن صنع نوح السفينة كان بعين الله تعالى، أى مصحوبًا بعين يراه الله تعالى بعينه، فيسدد ويصلح صنيعه، كما نقول: صنعت هذا بعيني، أى صنعته وأنا أرعاه بعيني، وإن كانت آلة الصنع اليد أو الآلة، وتقول كتبته بعيني،أى كتبته وأنا انظر إليه بعيني،وإن كانت الكتابة باليد أو بآلة.

وهذا التعبير لهذا المعنى تعبير عربي مشهور، والقرآن الكريم نزل بقرآن عربي مبين، فهو محمول على ما تقتضيه اللغة العربية، إلا أن يكون هناك حقيقة شرعية انتقل المعنى إليها كالصلاة والصيام ونحوها، فيحمل على الحقيقة الشرعية. وكتاب التأسيس الذي نقل السائل منه هذه الكلمات قد نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية ~ فليت السائل يحصل على نسخة من نقضه»(١).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ١٥٣).

* ثم يستطرد مبينًا أن المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته، لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟

هل يقال: إن ظاهره وحقيقته أن السفينة تجري في عين الله؛ أو أن موسى عليه السلام يربى فوق عين الله تعالى؟ !!

أو يقال: إن ظاهره أن السفينة تجرى وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلؤه بها.

ويعلق ابن عثيمين على بطلان هذا القول بوجهين:

الأول: أنه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (يوسف: ٢)، وقال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ (الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤). ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني أن المعنى أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني، أن تخرجه كان وهو راكب على عينه، ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء.

الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع، ولا يمكن لمن عرف الله، وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى؛ لأن الله تعالى مستو على عرشه بائن من خلقه لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته ـ سبحانه و تعالى ـ عن ذلك علوًا كبيرًا.

فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني أن السفينة تجرى وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاها ويكلؤه بها. وهذا معنى قول بعض السلف بمرأى مني، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء

منه كما هو معلوم من دلالة اللفظ حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام.

* وعندما يصل الشيخ ابن عثيمين إلى قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾** (يس: ٧١).

فيتساءل عن حقيقة معنى هذه الآية قائلا: ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها حتى يقال إنها صرفت عنه؟

هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟

أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها لم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم.

أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين:

أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل به القرآن، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (الشورى: ٣٠)، وقوله: **﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** (الروم: ٤١)، وقوله: **﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾** (آل عمران: ١٨٢)؟! فإن المراد ما كسبه الإنسان نفسه وما قدمه، وإن عمله بغير يده بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي كما في قوله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾** (البقرة: ٧٩). فإنه يدل على مباشرة الشيء باليد.

الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعامًا كما قال الله تعالى في آدم: **﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾** (ص: ٧٥)؛ لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية؛ لقوله تعالى: **﴿وَنَزَّلْنَا**

عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل: ٨٩).

ليخلص من ذلك إلى أنه إذا ظهر بطلان القول الأول تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني وهو: أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها ولم يخلقها بيده لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية؛ بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعدي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير من الإشكالات⁽¹⁾.

* وقد جمع بين قوله تعالى في الحديث القدسي: «**وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»⁽٢⁾.

حيث نفى الشيخ أن يكون ظاهره أن الله تعالى يكون سمع الولي وبصره ويده ورجله؟

وقرر: أن ظاهره أن الله تعالى يسدد الولي في سمعه وبصره ويده ورجله بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله؟

ولا ريب أن القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث.

القسم الخامس: ما يوهم مخالفة الواقع أو الحس:

والنوع الأخير الذي نعرض له هنا في هذه العجالة، ظهور الإشكال نتيجة لمخالفة ظاهر الآية للحس أو الواقع أو لما استقر عليه العلم الحديث، فمن أمثلة

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحسنى: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص (٥١، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٦٢).

(٢) أخرجه مسلم فى صحيحه، كتاب الرقاق، باب التواضع.

النوع الأخير ذاك التساؤل الذي يتكرر كثيرًا حول توصل العلماء إلى اكتشاف نوع الجنين.

فقد سئل فضيلة الشيخ: كيف نوفق بين علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، وقوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾ (لقمان: ٣٤)، وما جاء في تفسير ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي ﷺ عما تلده امرأته، فأنزل الله الآية، وما جاء عن قتادة ~ ؟ وما المخصص لعموم قوله تعالى: ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾؟

فأجاب بقوله: «قبل أن أتكلم عن هذه المسألة أحب أن أبين أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبداً، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة؛ فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة لها، وإما أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته؛ لأن صريح القرآن الكريم وحقيقة الواقع كلاهما قطعي، ولا يمكن تعارض القطعيين أبداً.

فإذا تبين ذلك فقد قيل: أنهم الآن توصلوا بواسطة الآلات الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صدقًا فإنه لا يعارض الآية، حيث إن الآية تدل على أمر غيبي هو متعلق بعلم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنين هي: مقدار مدته في بطن أمه، وحياته، وعمله، ورزقه، وشقاوته أو سعادته، وكونه ذكرًا أم أنثى، قبل أن يخلق، فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب، لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاث، التي لو أزيلت لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكرًا أم أنثى، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك.

وأما ما نقله السائل عن ابن جرير عن مجاهد أن رجلاً سأل النبي ﷺ عما تلد

امرأته، فأنزل الله الآية. فالمنقول هذا منقطع لأن مجاهدًا ~ من التابعين.

وأما تفسير قتادة ~ فيمكن أن يحمل على اختصاص الله تعالى بعلمه ذلك إذا كان لم يخلق، وأما بعد أن يخلق فقد يعلمه غيره. قال ابن كثير ~ في تفسير آية لقمان: «وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى أو شقيًا أو سعيدًا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء من خلقه»(١).

وأما سؤالكم عن المخصص لعموم قوله تعالى: ﴿مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فنقول: إن كانت الآية تتناول الذكورة والأنوثة بعد التخليق فالمخصص الحس والواقع، وقد ذكر علماء الأصول أن المخصصات لعموم الكتاب والسنة إما النص، أو الإجماع، أو القياس، أو الحس، أو العقل(٢)، وكلامهم في ذلك معروف.

وإذا كانت الآية لا تتناول ما بعد التخليق وإنما يراد ما قبله، فليس فيها ما يعارض ما قيل من العلم بذكورة الجنين وأنوثته.

والحمد لله أنه لم يوجد ولن يوجد في الواقع ما يخالف صريح القرآن الكريم، وما طعن فيه أعداء القرآن الكريم من حدوث أمور ظاهرها معارضة القرآن الكريم فإنما ذلك لقصور فهمهم لكتاب الله تعالى، أو تقصيرهم في ذلك لسوء نيتهم، ولكن عند أهل الدين والعلم من البحث والوصول إلى الحقيقة ما يدحض شبهة هؤلاء ولله الحمد والمنة»(٣).

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٩) وفيه: «ومن شاء الله من خلقه».

(٢) انظر: تقريب الوصول إلى علم الأصول ص (١٤١)، وإرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/ ٤٧٣).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/ ٦٨-٦٩).

اليهـود وامتلاكـهم الثـروة:

نتيجة للأحداث السياسية الواقعة في الخمسين عامًا الماضية، استطاع اليهود السيطرة على المصارف العالمية وأصبحوا يملكون المال وسائر أدوات النفوذ، ومن خلاله سيطروا على هذا العالم أو كادوا، الأمر الذى قد يثير بعض الإشكالات مع الظواهر القرآنية، ومن بينها وصفهم بالبخل الوارد في قوله تعالى: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ (المائدة: ٦٤).

وقد أجاب الشيخ عن ذلك أن معنى قوله تعالى: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ (المائدة: ٦٤)، أى منعت عن الإنفاق ولهذا كان اليهود أشد الناس جمعًا للمال ومنعًا للعطاء وهم أبخل عباد الله وأشدهم شحًا في طلب المال... أما عن طريقة التوفيق بين هذا الواقع وبين الوصف الإلهي فيكمن في قول الشيخ: «إن هؤلاء القوم يبذلون ليربحوا أكثر»(١).

---

(١) المصدر السابق: ص ١٨٨.

الخاتمة والتوصيات

وبعد هذا التطواف السريع حول جهود الشيخ ابن عثيمين في تفسير القرآن الكريم بوجه عام، وببيان المشكل على وجه الخصوص أكد الشيخ ما سبق تأكيده منذ نزل القرآن الكريم من أنه ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢)، وبجانب هذا التأكيد المسلم به من كافة المسلمين فإن للشيخ ابن عثيمين جهدًا كبيرًا في إزالة التعارض الظاهري لبعض النصوص التي قد تتصادم مع الواقع اليوم، فضلاً عن آثاره الهامة في تجلية منهج السلف الصالح في بيان نقاء العقيدة وصفائها.

وقد عالج البحث الأنواع والأسباب التي هي منشأ بعض الإشكالات وعلى كافة المستويات بدءًا من الآيات التي تتعارض في ظاهرها مع آيات أخرى، فضلاً عن العلاقة بين بعض الأحاديث وبعض الآيات التي قد تتصادم لأول وهلة مرورًا بالإشكالات اللغوية التي يعمل بعض الملحدين اليوم على إذاعتها والإرجاف بها ناسين أن القرآن الكريم قد أنزل بلسان عربي مبين على أرباب الفصاحة والبلاغة الذين لم يجدوا فيه مغمدًا وكانوا أشد الناس حرصًا على ذلك، فلامس شغاف قلوبهم فلم يلبثوا إلا أن آمنوا به وبذلوا في حفظه وحياطته النفس والنفيس.

وإذا كان لنا مطلب في نهاية هذه الدراسة فإننا نأمل ونوصي بجمع تراث الشيخ المتعلق بالإشكال في مصنف خاص يجمع فيه شتيت هذه الجهود لتكون معلماً للباحثين في هذا المجال الهام والذي أصبح اليوم مصدرًا لمقالة السوء الذين يتهجمون على القرآن الكريم ويتسورون جنابه.

الأمر الذي يساهم في إيقاف هذه الحملة المسعورة تجاه القرآن الكريم من ناحية وفيه من ناحية أخرى القيام بواجب النصيحة لكتاب الله تعالى على نحو ما دعا إليه الرسول الكريم ﷺ.